

تلقي هبة الخلاص بقلم إيريك ليونز وكايل بت

يعترف معظم الناس بأن الخلاص الأبدي بحسب الكتاب المقدس هو هبة مجانية من الله. يحفل العهد الجديد بتصريحات تشدد على هذه النقطة. تعلم الآية التي كثيرا ما يستشهد بها من بين جميع آيات الكتاب المقدس هذه الحقيقة بالذات: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى أنه بذل ابنه الوحيد... (يوحنا ٣: ١٦). لم يقدم الله هبة الحياة الأبدية إلى العالم بسبب ثمة إنجاز عظيم من جانب الجنس البشري. بالأحرى، وكما كتب بولس إلى الكنيسة في روما، "أما الله فقد دل على محبته لنا، بأن المسيح قد مات من أجلنا **إذ كنا خاطئين**" (٨: ٥). وفي نفس الفصل من رومية، تكلم بولس عن "**هبة مجانية**" هي الحياة الروحية بالمسيح (٢١: ٥). وكتب إلى الكنيسة في كورنثوس أن الله **"يمنحنا الغلبة** بربنا يسوع المسيح" (كورنثوس الأولى ١٥: ٥٧). وفي وقت سابق من هذه الرسالة، عبر بولس عن امتنانه لأهل كورنثوس وخلصهم، قائلا: "أني أشكر الله دائما في أمركم على ما أوتيتم من **نعمة الله المعطاة** لكم في المسيح يسوع" (٤: ١). حقا، يهب الله نعمته إلى كل من يقبله بطاعة وتواضع (يعقوب ٤: ٦؛ بطرس الأولى ٥: ٥؛ رؤيا يوحنا ٢٢: ١٧). إنها، كما لاحظ كثيرون، فضل **غير مستحق**.

دراسة مفصلة في "حيازة" ما يعطيه الله

لغرض فهم العلاقة بين هبات الله وتسلم الإنسان لتلك الهبات على نحو أفضل، من المفيد دراسة هبة خاصة من الله — هبة يتكرر ذكرها على صفحات العهد القديم أكثر من أي شيء آخر قيل أن الله قد منحه في أيما وقت. إذا فتح المرء الفهرس الأبجدي وبحث عن كلمة "يعطي" أو إحدى مشتقاتها (على سبيل المثال، أعطى، معطى، عطاء، وما إلى ذلك)، فسوف يكتشف أنها تتزامن حيثما وجدت مع شيء قام به الله، أو سوف يقوم به. تم استخدامها عند الإشارة إلى أرض كنعان (التي أعطاه الله لنسل إبراهيم) أكثر من أي موضوع آخر. على الرغم من أن العهد القديم يذكر العديد من الأشياء التي أعطاه الله لبني إسرائيل (على سبيل المثال، المن، السلوى، الماء، الراحة، وغيرها)، فإن هبة الله التي يستشهد بها في أغلب الأحيان (وخصوصا في سفر التكوين وحتى سفر يشوع) هي إعطاء الله أرض كنعان لبني إسرائيل. وعد الله **بإعطاء** هذه الأرض لإبراهيم قبل حوالي ٥٠٠ سنة من "تلقي" ذريته لها أخيرا (تكوين ١٢: ٧؛ راجع ١٣: ١٥، ١٧؛ ١٥: ٧؛ ١٧: ١٥). بينما كان بنو إسرائيل لا يزالون عبيدا في مصر، كلم الله موسى قائلا: "وسأدخلكم الأرض التي أقسمت أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، فأعطيها لكم ميراثا: أنا الرب" (خروج ٦: ٨). بعد الخروج من مصر، أمر الله موسى بإرسال اثني عشر رجلا "ليستطلعوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل" (عدد ١٣: ٢). في سفر الأحبار، يمكننا أن نقرأ أين أعطى يهوه الإسرائيليين قوانين بشأن الجدام — قوانين قدمها قائلا: "إذا دخلتم أرض كنعان التي أنا معطيكم إياها ملكا ... (لاويين ١٤: ٣٣-٣٤). خلال سنوات التجوال في الصحراء، ذكر الله إسرائيل بهذه الهبة عدة مرات — وأشار إليها دائما بصفة هبة، ولم يشار إليها قط كملك مكتسب.

لاحظ مع ذلك، بعض الأشياء التي كان لا يزال يتعين على بني إسرائيل القيام بها من أجل "حيازة" هذه الهبة (عدد ١٣: ٣٠؛ يشوع ١: ١٥). تعين عليهم أن يعدوا زادا (يشوع ١: ١١)، أن يعبروا نهر الأردن (يشوع ٣)، أن يطوفوا حول مدينة أريحا مرة واحدة في اليوم مدة ست أيام، وسبع مرات في اليوم السابع (يشوع ٦: ٤-١)، أن ينفخوا في الأبواق وأن يهتفوا (يشوع ٦: ٥)، وأن يجرموا بعد ذلك كل ما في أريحا (يشوع ٦: ٢١). وأخذوا سبيلهم بعد ذلك إلى شن معركة ضد سكان العي (يشوع ٨). يسجل الفصل العاشر من سفر يشوع كيف "طاردوا" و "ضربوا" سكان الجزء الجنوبي من كنعان (يشوع ١٠: ١٠). وشقوا طريقهم بعد ذلك إلى الجزء الشمالي من كنعان، واستولوا عليه أيضا (يشوع ١١). وأخيرا، بعد تقسيم الأراضي على جانبي نهر الأردن بين بني إسرائيل، يسجل الكتاب المقدس كيف طرد كالب بشجاعة أحفاد العنقابين العملاقة من حبرون. **واستولى** على الأرض **المعطاة** له من قبل الله (يشوع ١٤: ٦-١٥؛ ١٥: ١٣-١٩؛ قضاة ١: ٩-٢٠). هذا هو الموضوع الرئيسي في جميع الكتب الستة الأولى من الإنجيل — **"وأعطى الرب إسرائيل كل الأرض التي حلف أنه يعطيها لأبائهم، فتملكوها"** [إسرائيل] (يشوع ٢١: ٤٣).

لعل حقيقة أن الله **أعطى** هذه الأرض لإسرائيل لم تكن أبدا أكثر وضوحا مما كانت عليه عندما تحدث إليهم موسى قبيل دخولهم كنعان. وإذا أدخلك الرب إلهك إلى الأرض التي أقسم لأبائك إبراهيم وإسحاق، ويعقوب، أن **يعطيك** إياها مدنا عظيمة حسنة لم تبنيها وبيوتها مملوءة كل خير لم تملئها، وأبارا مخفورة لم تحفرها، وكروما وزيتونا لم تغرسها: وإذا أكلت وشبعت، فاحذر أن تنسى الرب الذي أخرجك من أرض مصر من دار العبودية وأخرجنا من هناك لكي يدخلنا **ويعطينا** الأرض التي أقسم عليها لأبائنا (تنثية الاشتراع ١٠: ٦-١٢، ٢٣). لم يمنح الله هذه الأرض لبني إسرائيل بسبب ثمة عمل عظيم من جانبهم. لم تكن هذه الأرض، التي تدر "لبنا حليباً وعسلاً" (عدد ١٣: ٢٧)، جائزة سلمت إليهم بسبب ثمة إنجاز عظيم من قبل إسرائيل (تنثية الاشتراع ٧: ٧). لم يستحق بنو إسرائيل الأرض، لم يشتروها من الله لقاء أي نوع من الدخل المكتسب، ولم **يكسبوا** حق أن يكونوا هناك. الله، الذي يملك كل شيء (مزمو ١٠٢: ١؛ ٨٩: ١١)، **أعطاهم** إياها كهدية. **كانت مجانية**. وصفها الله كهدية عندما وعد بها إبراهيم لأول مرة (تكوين ١٢: ٧)، ووصفها كهدية بعد أن سكنها بنو إسرائيل بمئات السنين (يشوع ٢١: ٤٣). لم تكن شيئا مستحقا. مع ذلك، فإن قبول إسرائيل لهبة الله، لم يلغي الحاجة إلى بذل بعض **الجهد** من جانبهم.

لكن عندما يتعلق الأمر بأرض الميعاد **الروحية** التي يقدمها الله مجاناً لكل من "يشاء" (رؤيا يوحنا ٢٢: ١٧؛ طيطس ٢: ١١؛ متى ١١: ٢٨-٣٠)، يجد البعض صعوبة في قبول فكرة أنه يجب على الإنسان أن يبذل بعض **الجهد** من أجل الحصول عليها. يؤمن كثيرون اليوم بأنه: عندما يتحدث الكتاب المقدس عن عطايا الله الكريمة، لا يمكن للجهد أن يكون جزءاً من المعادلة. الفكرة هي: "بما أن نعمة الله لا يمكن لها أن تكون شيئا مستحقاً أو مكتسباً، فإن أي شخص يدعي أن قبولها ينطوي على جهد بشري هو على خطأ". من الواضح مع ذلك، أن العديد من الآيات تبين أن جهود الإنسان لا تصنف دائما كأعمال استحقاق. **منح** الله إسرائيل الحرية من عبودية مصر، ولكن كان لا يزال عليهم بذل بعض الجهد بالسير من مصر، عبر البحر الأحمر، وإلى بركة شور (خروج ١٥: ٢٢؛ سفر الخروج ١٦: ٣٢، يشوع ٥: ٢٤). لم "يكسب" إسرائيل أرض كنعان، لكن كان لا يزال عليهم بذل الكثير من الجهد (العمل) لامتلاكها. **أعطى** الله لبني إسرائيل مدينة أريحا (يشوع ٦: ٢). لكنه لم يعطها لهم إلا **بعد** أن اتبعوا تعليماته وطوقوا المدينة مدة سبعة أيام (عبرانيين ١١: ٣٠). علاوة على ذلك، لم يستحق إسرائيل المن من السماء؛ كان هبة مجانية من الله. مع ذلك، تطلب أكلهم له بذل الجهد في جمعه (خروج ١٦؛ عدد ١١). تعلم هذه الأمثلة من العهد القديم بوضوح أنه يمكن للشيء أن يكون هبة من الله، على الرغم من وجوب تلبية بعض الشروط لتلقي تلك الهبة.

يمكن أيضا فهم هذه النقطة على نحو فعال بملاحظة مواقفنا تجاه الهبات المادية اليوم. إذا أراد أحد أصدقائك أن يعطيك مبلغ مليون دولار، لكن من أجل الحصول على هذا المبلغ يجب عليك التقاط الشيك من منزله، أخذه إلى البنك، توقيعه، وصرفه. هل من شأن أي شخص عاقل أن

يستنتج بأن هذه الهبة قد اكتسبت لقاء عمل؟ بالطبع لا. حتى ولو تم بذل بعض الجهد من أجل الحصول على الهبة، لم يكن الجهد المبدول عملاً استحقاقياً. بالمثل، إذا سمع رجل صرخات صبي صغير على وشك الغرق في وسط بحيرة صغيرة، ثم شرع بإنقاذ الصبي بأن جرى إلى حافة البحيرة، ففخ طوفاً، ربط حوله حبلًا، ورماه إلى الصبي الذي كان يجاهد للبقاء عامناً. هل من شأن أي مشاهد لهذا الحدث أن يقول أن الصبي قد "خلص نفسه" (أو "كسب" إنقاذه) لأنه بذل جهداً للقبض على الطوف والإمساك به بينما يجري سحبه إلى الشاطئ من قبل عابر السبيل؟ كلا. الهبة لا تزال هبة حتى عندما يتعين على الشخص المستلم أن يبذل مقداراً معيناً من الجهد من أجل حيازتها.

"الحصول على" الخلاص

لا يترك العهد الجديد مجالاً للشك في أن أعظم جميع الهبات (الخلاص بواسطة المسيح — الهبة الروحية التي كانت في ذهن الله "قبل تأسيس العالم" — أفسس ١: ٤؛ ٣: ١) ليست نتيجة لأي نوع من أعمال الاستحقاق من جانب الإنسان. أكد الرسول بولس على هذه النقطة عدة مرات في كتاباته. إلى المسيحيين في كنيسة أفسس، كتب يقول: "فبالنعمة نلت الخلاص بفضل الإيمان. فليس ذلك منك. بل هو هبة من الله، وليس من الأعمال، لئلا يفتخر أحد" (أفسس ٢: ٨ - ٩). في رسالته إلى طيطس، أكد بولس أن الله خلصنا، "لا اعتباراً لأعمال بر عملناها نحن، بل لرحمته" (٥: ٣). ثم، مرة أخرى، حين كتب للشباب تيموثي، أبرز بولس حقيقة أننا نخلص بواسطة "قدرة الله"، و "ليس بسبب أعمالنا" (تيموثاوس الثانية ٨: ١ - ٩). ليس بالإمكان التشديد على هذه الحقيقة إلى حد كافٍ.

للأسف، يؤمن البعض بأن الإنسان لا يلعب أي دور في حصوله على الخلاص من الخطية من قبل الله. ويعلمون أن: "الخلاص هو هبة من الله وليس من أي شيء نقوم به بأنفسنا" (شليمبر، ١٩٩٨). أو أن، "الخلاص هو هبة من الله — نحن لا نفعل شيئاً للحصول عليها" (ماكفيل، بدون تاريخ). "نحن لا نفعل شيئاً لنصبح أبراراً.... فعل الله كل ما هو ضروري من خلال ابنه" ("الإلهية"، بدون تاريخ). على أن الحقيقة هي، عندما يتعلق الأمر بهبة الخلاص التي جعلها الله في متناول العالم أجمع (يوحنا ٣: ١٦)، هناك متطلبات يجب على الإنسان الوفاء بها لكي يتلقى الهبة. على عكس ما يعلمه البعض، هناك شيء يجب على المرء أن يفعله لكي يخلص. فهم اليهود في يوم الخمسين هذه النقطة، كما هو واضح من خلال سؤالهم: "أيها الإخوة، ماذا نعمل؟" (أعمال ٢: ٣٧). آمن شاول، الذي دعي في وقت لاحق بولس (أعمال الرسل ١٣: ٩)، أنه بحاجة إلى القيام بشيء آخر بالإضافة إلى اللقاء الشخصي مع الرب القائم من الموت على الطريق إلى دمشق، لأنه سأل يسوع: "يا رب، ماذا تريدني أن أفعل؟" (أعمال ٩: ٦). وعندما رأى السجنان في فيلبس بر بولس وسيلا بعد استيقاظه من النوم ليلاً على أثر وقوع زلزال شديد وتفتح أبواب السجن (أعمال ١٦: ٢٠ - ٢٩)، "ارتدى مرتعداً على أقدام بولس وسيلا... وقال، يا سيدي ماذا يجب علي أن أعمل لأنال الخلاص؟" (أعمال الرسل ١٦: ٣٠). إذا كان لدى هؤلاء الذين أجابوا هذه الأسئلة (بطرس في أعمال الرسل ٢، يسوع في أعمال الرسل ٩، بولس وسيلا في أعمال الرسل ١٦) نفس عقلية بعض الناس اليوم، كان ينبغي عليهم أن يجيبوا قائلين: "ليس هناك ما ينبغي عليك أن تفعله. ما عليك سوى الانتظار، وسوف يأتيك الخلاص". لكن إجاباتهم كانت مختلفة تماماً. في المرات الثلاثة التي طرح فيها السؤال، أعطيت أوامر للقيام بعمل. قال بطرس للجمهور في يوم الخمسين "توبوا وليعتمد كل منكم" (أعمال الرسل ٢: ٣٨). أرشد بولس وسيلا السجنان الفيلبي أن "يؤمن هو وأهل بيته بالرب يسوع المسيح" (أعمال ١٦: ٣١)، وأمر يسوع شاول أن ينهض ويدخل المدينة، "فقال لك ما يجب عليك أن تفعل" (أعمال الرسل ٩: ٦). لاحظ أن أبا منهم لم يعطي انطباعاً بأن الخلاص يقتضي ضمناً "أن لا نفعل أي شيء". قال يسوع لشاول أنه "يجب عليه أن يفعل" شيئاً. عندما وصل شاول إلى دمشق كما وجهه يسوع، فعل بالضبط ما أمره المتحدث باسم الرب، حنانيا، أن يفعله (أعمال ٢٢: ١٢ - ١٦؛ ٩: ١٧ - ١٨). على غرار طريقة "تلقي" أرض كنعان من قبل إسرائيل النشط، كذلك يتم تلقي هبة الحياة الأبدية المجانية للإنسان الذي يتخذ إجراءات في سبيل ذلك.

هناك الكثير من الجدل ضمن الديانة المسيحية بسبب الخلاف على مقدار العمل الذي يجب على الخاطئ الغريب القيام به. وبما أن الله قد جعل في متناول البشرية جمعاء عطية لا توصف (كورينثوس الثانية ٩: ١٥)، هبة غير مستحقة، يقال لنا أن قبول مثل هذه الهبة لا يتطلب سوى أقل قدر من الجهد، لئلا يتهم المرء بالحصول على الخلاص من خلال "أعمال البر". عادة ما يقال بأن الحصول على الخلاص لا يتطلب سوى الاعتراف بالإيمان بيسوع كابن الله، والصلاة إليه لكي يغفر خطايا الشخص ويأتي إلى قلبه (انظر "صلاة الخلاص"....). يقال لنا أن هذه هي الوسيلة التي "يحصل بها" الإنسان على نعمة الله. ويزعمون أن كل ما يجب على المرء القيام به من أجل الحصول على الحياة الأبدية التي يعطيها الله للجميع مجاناً هو:

أن تقبل المسيح في قلبك من خلال الصلاة وسوف يقبلك. لا يهم ما هي الكنيسة التي تنتمي إليها أو ما إذا قمت بأي عمل صالح في أي وقت. سوف تولد من جديد في ذات اللحظة التي تقبل فيها المسيح. انه واقف على الباب يفرح.... فقط ثق بالمسيح كمخلص. الله يحبك ويغفر لك دون قيد أو شرط. بوسع أي شخص أن ينال الخلاص الآن إذا قبل المسيح! دعونا نصلي إلى المسيح لكي يأتي إلى قلبك الآن (انظر ستاتين، ٢٠٠١).

الصلاة التي يتم حث الخاطئ الغريب على قولها، هي في العادة شيء من قبيل:

أيها الرب يسوع، أنا بحاجة إليك. شكراً على موتك على الصليب من أجل خطاياي. أنا أفتح باب حياتي وأقبلك كمخلصي وربّي. أشكرك على غفران خطاياي وإعطائي الحياة الأبدية. امتلك زمام حياتي. اجعلني الشخص الذي تريدني أن أكون (انظر ماكديول، ١٩٩٩، ص ٧٥٩). وفقاً لموقع رابطة بيلي غراهام الإلكتروني للتبشير الإنجيلي، وفي مقال بعنوان "كيف تصبح مسيحياً"، "[عندما] تتلقى المسيح في قلبك تصبح ابناً لله، وتحصل على شرف التحدث إليه في الصلاة في أي وقت وحول أي شيء" ("كيف تصبح مسيحياً"، بدون تاريخ). هذا هو ما يؤمن كثيرون ضمن الديانة المسيحية أنه يجب على المرء القيام به للحصول على نعمة الله. يبدو أن الفكرة السائدة هي، "لا يمكن أن يكون هناك الكثير مما يجب القيام به للحصول على الخلاص، لأن الذي يخلص هو الله، وليس الإنسان. يجب علينا أن نجعله سهلاً إلى أقصى حد ممكن لكيلا يتهمنا أحد "بالخلاص بالأعمال".

خلافاً للتصريحات المذكورة أعلاه، يعطي العهد الجديد شروطاً محددة يجب إتباعها قبل أن يتمكن المرء من الحصول على فائدة دم المسيح التكفير (رويا يوحنا ٥: ١؛ يوحنا الأولى ٧: ١). ليست هذه الشروط غامضة أو صعبة الفهم. يجب على المرء أن يعترف بالإيمان بأن يسوع المسيح هو ابن الله (يوحنا ٨: ٢٤؛ رومية ١٠: ٩ - ١٠؛ تيموثاوس الأولى ٦: ١٢)، ويجب عليه أن يتوب عن خطاياها الماضية (أعمال ٢٦: ٢٠؛ لوقا ١٣: ٣؛ أعمال ٢: ٣٨). رغم أن هذه الشروط الأساسية تختلف قليلاً عن تلك المذكورة أعلاه من قبل بعض المبشرين الطائفيين في العصر الحديث، يتم قبولها كتعاليم أصيلة في العالم البروتستانتي. يفهم معظم الناس أنه من خلال تلبية هذه الشروط، يحصل الشخص على مجرد نعمة الله (عن طريق إتباع خطة الله). فليلون، إن وجدوا، سوف يتهمون الرجل الذي يؤكد على هذه الشروط الأساسية بتعليم "الخلاص بأعمال الاستحقاق".

من ناحية أخرى، يناقش الكتاب المقدس بالإضافة إلى ذلك خطوة أخرى تسبق الخلاص — خطوة أصبحت مثارا للجدل في العالم المسيحي — ألا وهي المعمودية الماء. تم ذكرها عدة مرات في العهد الجديد، وعلم يسوع وتلاميذه أنها تسبق الخلاص (مرقس ١٦: ١٦؛ متى ٢٨: ١٩-٢٠؛ أعمال ٢: ٣٨). لم تغسل خطايا الرسول بولس إلا بعد أن تم غمره في الماء (أعمال ٢٢: ١٦؛ أعمال ٩: ١٨). [ملاحظة: على الرغم من أنه على الطريق إلى دمشق، سمع بولس الرب، وتحدث إليه، وأمن به (أعمال الرسل ٩)، لم يحصل بولس على الخلاص إلا بعد ذهابه إلى دمشق وتلقيه العماد]. يمتلئ كتاب أعمال الرسل بأمثلة عن أولئك الذين لم يحصلوا على هبة الخلاص إلا بعد إعلانهم الإيمان بالمسيح، التوبة عن خطاياهم، وتلقي العماد (أعمال ٢: ٣٨-٤١؛ ٨: ١٢؛ ١٠: ٤٤؛ ١٣: ٤٨؛ ١٦: ١٤-١٥؛ ١٦: ٣٠-٣٤؛ ١٨: ٨).

علاوة على ذلك، تستدعي رسائل بطرس وبولس الانتباه أيضا إلى ضرورة المعمودية (بطرس الأولى ٣: ٢١؛ كولوسي ٢: ١٢، رومية ٦: ٤). إذا رغب الشخص في البركات الروحية المتعددة الموجودة "في المسيح" (على سبيل المثال، الخلاص - تيموثاوس الثانية ٢: ١٠؛ المغفرة - أفسس ١: ٧؛ ١٢: ٢)، يتعين عليه ألا يتوقف بعد اعترافه بالإيمان بالرب يسوع، أو بعد أن يصمم في داخله على تغيير نمط حياته الخاطئة. يجب عليه أيضا أن "يعتمد في المسيح" (غلاطية ٣: ٢٧؛ رومية ٦: ٣) "المغفرة الخطايا" (أعمال الرسل ٢: ٣٨). فلماذا إذن، قد يتساءل البعض، إذا كانت الكثير من مقاطع من الكتاب المقدس تعلم ضرورة المعمودية، هناك الكثير من الجدل حول كون المعمودية شرطا للخلاص؟ يمكن ذكر العديد من الأسباب هنا. أحد الأسباب هو خلاص اللص على الصليب، رغم أننا لا نعلم إذا كان قد اعتمد. بناء على ذلك، يقول البعض أنه لا يتعين علينا أن نعتمد لكي ننال الخلاص. (للحصول على تفنيد كامل لهذا المجري من التفكير، أنظر ميلر، ٢٠٠٣). الفكرة الأخرى الشائعة للغاية (كانت ولا تزال لبعض الوقت) هي فكرة أن المعمودية هي "عمل". وبما أننا لا ننال الخلاص "بالأعمال" (أفسس ٨: ٩)، يزعمون بالتالي، أنه لا يمكن للمعمودية أن تكون شرطا للحصول على (أو "حيازة" رؤيا يوحنا ٢: ١٧) الخلاص. لاحظ كيف يعرب بعض المتدينون عن هذه الآراء.

في الجزء الثالث من سلسلة من المقالات حول المعمودية، تسمى "سلسلة FUD" (ترمز FUD إلى - الخوف، عدم اليقين، والشك)، كتب دارين بيغر: "فعل المعمودية هو عمل (أو طقس). يوضح بولس هذه النقطة وهي أن الأعمال لا (ولا يمكنها) أن تخلصنا. حتى الإيمان الذي لدينا هو هبة من الله. وطالما أن الأعمال لا يمكنها أن تخلصنا، لا تلعب المعمودية أي دور في خلاص المؤمن" (٢٠٠٣). يختم بيغر هذا المقال بقوله: "من الأساس أن المعمودية قد أصبحت نقطة خلاف هائل في الكنيسة. عند أخذ جميع مقاصد الله بنظر الاعتبار، تتضح عدة نقاط." شملت هذه النقاط: "المعمودية هي عمل، والكتاب المقدس واضح في أن الأعمال لا تخلصنا المعمودية هي على نحو قاطع لا يعترية الشك، ليست شرطا للخلاص".

في مقال بعنوان "ما الذي يخلص؟ المعمودية أم يسوع المسيح؟"، يستشهد بدي براينت بطيوس ٣: ٥، ثم يكتب: "المعمودية هو عمل من أعمال البر، ونحن لا ننال الخلاص بأعمال بر عملناها نحن" (براينت، بدون تاريخ). تحت عنوان "ماء المعمودية ليس للخلاص"، يعلن موقع إحدى الكنائس على شبكة الإنترنت: "معمودية الماء هي عمل بار لا تغسل خطايانا بالماء، ولكن بالرب يسوع المسيح ...". (انظر "معمودية الماء ..."، بدون تاريخ). بالمثل، نشر موقع كنيسة أخرى مقالا بعنوان "هل المعمودية المياه تخلص؟"، معلنين: "معمودية الماء هي عمل (شيء يفعله الإنسان لإرضاء الله)، على الرغم من أن الكتاب المقدس يعلمنا مرارا وتكرارا أن الإنسان لا ينال الخلاص بالأعمال" (انظر "هل ماء ..."، بدون تاريخ). تلخص هذه التصريحات مشاعر كثيرين في العالم المسيحي تجاه المعمودية: "إنها عمل، وبالتالي فهي ليست ضرورية بالنسبة للشخص الذي يريد أن يخلص". غير أن حقيقة الأمر هي، عند النظر بعناية إلى ما يعلمه الكتاب المقدس حول هذا الموضوع، سوف لا يجد المرء أي تناقض بين فكرة أن الإنسان ينال الخلاص "بالنعمة ... بفضل الإيمان" (أفسس ٨: ٩) وليس بالأعمال، وأنه في نفس الوقت ينال الخلاص بعد المعمودية.

ينجم جزء من التشويش حول المعمودية والأعمال عن عدم الإطلاع على تعاليم الكتاب المقدس بخصوص الأعمال. يذكر العهد الجديد ما لا يقل عن أربعة أنواع من الأعمال: (١) أعمال شريعة موسى (غلاطية ٢: ١٦؛ رومية ٣: ٢٠)؛ (٢) أعمال الجسد (غلاطية ٥: ١٩-٢٠)؛ (٣) أعمال الفضيلة (طيوس ٣: ٤-٧)؛ و (٤) الأعمال الناجمة عن طاعة الإيمان (يعقوب ٢: ١٤-٢٤؛ لوقا ١٧: ١٠؛ راجع غلاطية ٥: ٦). الأعمال الثلاثة الأولى المذكورة هنا لا تؤدي بالتأكيد إلى الحياة الأبدية. كثيرا ما يشار إلى الصنف الأخير "بأعمال الله"؛ لا يعني هذا المصطلح أعمالا يقوم بها الله؛ وإنما القصد من ذلك هو "الأعمال المطلوبة والمصادق عليها من قبل الله" (ثاير، ١٩٧٧، ص ٢٤٨؛ جاكسون، ١٩٩٧، ٣٢: ٤٧). أنظر المثال التالي التالي المأخوذ من عبارات يسوع في يوحنا ٦: ٢٧-٢٩: لا تعملوا للطعام الذي يفنى، بل أعملوا للطعام الذي يبقى فيصير حياة أبدية فقالوا له ماذا نعمل لنقوم بأعمال الله؟ أجاب يسوع وقال لهم، هذا هو عمل الله، أن تؤمنوا بمن أرسل.

في هذا السياق، يجعل المسيح من الواضح أن هناك أعمالا يجب على الإنسان القيام بها للحصول على الحياة الأبدية. علاوة على ذلك، يؤكد المقطع أن الإيمان نفسه هو عمل ("هذا هو عمل الله، أن تؤمنوا بمن أرسل"). يترتب على ذلك أنه إذا تم الخلاص لأحد دون أي نوع من الأعمال، فقد حصل على الخلاص دون إيمان، لأن الإيمان هو عمل. من شأن مثل هذا الاستنتاج أن يطرح الكتاب المقدس في ارتباك ميؤوس منه.

هل من شأن أي شخص أن يتقدم ويزعم أن الإيمان هو عمل استحقاق؟ هل يمكن للشخص أن "يستحق الخلاص" بسبب إيمانه بالمسيح؟ يؤمن قليلون، إن وجدوا، بأن الإيمان هو عمل استحقاق. على الرغم من أنه يوصف في الكتاب المقدس بأنه "عمل"، نحن نفهم بشكل صحيح أنه شرط للحصول المرء على الخلاص. لا يزال الخلاص هو هبة مجانية من الله؛ بفضل نعمته وعمل يسوع على الصليب، وليس نتيجة جهودنا. ولكن ماذا عن المعمودية؟ يستبعد العهد الجديد المعمودية على وجه الخصوص من فئة أعمال الفضيلة التي لا تتعلق بالفداء. في الواقع، فإن الرسالتين اللتين يشجب فيهما الرسول بولس بشدة فكرة الخلاص بالأعمال - رومية وغلاطية - هما ذات الرسالتين اللتين ورد فيهما حقيقة أن المعمودية الماء تضع الشخص "في المسيح" (رومية ٦: ٣؛ غلاطية ٣: ٢٧). إضافة إلى ذلك، تؤكد الرسالة إلى طيوس ٣: ٤-٧ حقيقة أن المعمودية ليست عملا استحقاقيا.

فإننا نحن أيضا كنا بالأمس أغبياء، عصاة، ضالين، عبيدا لمختلف الشهوات والمذات، نحيا على الخبث والحسد، ممقوتين، يبغض بعضنا بعضا. فلما ظهر لطف الله مخلصنا ومحبهته للبشر، لم ينظر إلى أعمال بر عملناها نحن، بل على قدر رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني والتجديد من الروح القدس الذي أفاضه علينا وافرًا بيسوع المسيح مخلصنا، حتى نبرر بنعمته، فنصير بحسب الرجاء، ورثة الحياة الأبدية. يكشف هذا المقطع عن ثلاثة أشياء على الأقل. أولا، نحن لا ننال الخلاص بأعمال بر نقوم بها بأنفسنا (وفقا لأية خطة أو مسار عمل وضعناه - أنظر ثاير، ١٩٩٧، ص ٥٢٦). ثانيا، نحن ننال الخلاص "بغسل الميلاد الثاني" (أي المعمودية)، تماما كما كتب بطرس في رسالته الأولى

٢١:٣ (انظر أيضا أفسس ٢:٥). [ملاحظة: يعتقد حتى ا. ت. روبرتسون اللاهوتي المعمداني، أن عبارة "غسل الميلاد الثاني" تشير على وجه التخصيص إلى المعمودية الماء (١٩٣١، ٤:٦٠٧).] وهكذا، وفي المركز الثالث، تم استبعاد المعمودية من جميع أعمال البر المفروضة على المؤمنين، لكنها في حد ذاتها "من أعمال الله" (أي مطلوبة ومصداق عليها من قبل الله) لازمة للخلاص.

عندما يقوم المرء من قبر المعمودية المائي، فإنه يقوم بذلك وفقا "لعمل الله" (كولوسي ٢:١٢)، وليس وفق أية خطة من صنع الإنسان. رغم أن كثيرين قد حاولوا، لا يمكن لأحد أن يقترح (على نحو مسوغ) أن المعمودية هي عمل استحقاق من تصميم الإنسان، بأكثر مما يمكنه أن يستنتج منطقيا أن نعمان "استحق" تطهير جسده من الجذام عن طريق الاغتسال في نهر الأردن سبع مرات (انظر ملوك الثاني ٥:١-١٩). عندما نعتمد، نحن سلبيين تماما. إذا تأملت ذلك بعمق، فإن المعمودية هي عمل يؤدي إلى الشخص، وليس من قبل الشخص (وعليه، بالكاد يمكن للشخص أن يكون قد أدى أي نوع استحقاق من "العمل").

الحصول على الخلاص "بالإيمان"

يؤكد الكتاب المقدس في العديد من المقاطع أننا نحصل على الخلاص عن طريق، بسبب، بفضل، أو من خلال الإيمان. كتب بولس إلى المسيحيين الرومان: "فلما بررنا بالإيمان (pistis - يونانية)، حصلنا على السلام مع الله بررنا يسوع المسيح" (رومية ٥:١). قبل ذلك ببضعة فصول، أعلن بولس: "لذلك نستنتج أن الإنسان يبرر بالإيمان (pistis) بمعزل عن أعمال الشريعة" (٢٨:٣). وخلص كاتب الرسالة إلى العبرانيين إلى أن: "بغير الإيمان (pistis) يستحيل نيل رضا الله، لأنه يجب على الذي يتقرب إلى الله أن يؤمن (pisteuo) بأنه موجود، وأنه يجازي الذين يبتغونه" (٦:١١). ونقرأ في أفسس ٢:٨-٩: "فبالنعمة نلت الخلاص بفضل الإيمان (pistis)، وذلك ليس منك. بل هو هبة من الله، وليس من الأعمال كي لا يفخر أحد". بتأمل هذه العينات الصغيرة من الآيات حول الإيمان، نرى بسهولة أن كل من ينال الخلاص يجب أن يكون لديه إيمان. ولكن ما هو الإيمان وفقا للكتاب المقدس؟

استمدت الكلمة المترجمة إلى "إيمان" في كل من الآيات أعلاه من كلمة pistis اليونانية بصيغة الاسم (صيغة الفعل هي pisteuo). قال الباحث اليوناني جوزيف ثاير الذي يحظى باحترام بالغ أن كلمة pistis استخدمت في العهد الجديد للتعبير عن "قناعة أو اعتقاد راسخ بخصوص علاقة الإنسان بالله والأمور الإلهية، بشكل يشمل عموما فكرة الثقة والحماس المقدس الناشئ عن الإيمان والمتحد به" (١٩٧٧، ص ٥١٢). عند استخدام صيغة الفعل من pisteuo "خصوصا عند وصف الإيمان الذي يقبل فيه الإنسان يسوع"، فإنها تعني "قناعة، حافة بثقة بهيجة، بأن يسوع هو المسيح - الذي عين إلهيا ليكون سبب خلاص أبدي في ملكوت الله، متحدا بطاعة المسيح" (ثاير، ص ٥١١). غالبا ما تترجم كلمة pisteuo إلى "إيمان" على سبيل المثال، في أعمال الرسل ١٠:٤٣، كتب الرسول بطرس عن يسوع: "وله يشهد جميع الأنبياء بأن كل من آمن به (pisteuo) ينال باسمه غفران الخطايا". وكتب الرسول بولس في كورينثوس الأولى ١:٢١ أنه قد "حسن لدى الله أن يخلص المؤمنين (pisteuo) بحماقة التبشير. في رومية ١٠:١١ صرح بولس بعبارات مماثلة عندما أعلن: "فقد ورد في الكتاب: من آمن (pisteuo) به لا يخزي".

عند النظر في هذه الآيات بمعزل عن أي آيات أخرى، قد يبدو لنا أنه يمكن لأي شخص الحصول على الحياة الأبدية بمجرد أن يتابع الاقتناع العقلي بأن يسوع هو ابن الله. يتخذ العديد من الأشخاص (والطوائف) هذا الموقف. في مناظرة بينه وبين توماس ب. وارن، أكد العالم المعمداني ل. أس. بالارد هذا الموقف: "يعلمنا الكتاب المقدس أن الإيمان بالمسيح يدبر الخلاص دون مزيد من أعمال الطاعة" (وارن وبالارد، ١٩٥٣، ص ١). أعلن هيرشيل هوبز: "يشير الخلاص الفوري إلى التحرير من الخطيئة (أعمال ٢:٢١ ورومية ١٠:١٠). تحدث هذه التجربة فور إيمان الشخص بيسوع المسيح كخلصه" (١٩٦٤، ص ٩٠). قال ألبرت مولر في حديث له حول الطائفة المحددة التي ينتمي إليها: "نحن نعزز ببشارة يسوع المسيح، كوسيلة للخلاص لكل من يؤمن. ونحن نعلم أن هناك خلاصا باسم يسوع وليس بأي اسم آخر. يأتي الخطاة إلى المسيح بالإيمان، ويتم تبريرهم بالإيمان وحده" (٢٠٠١، ص ٢٣).

يجب علينا أن نوجه انتباهنا إلى هاتين الكلمتين الأخيرتين - "الإيمان وحده". يعلم مولر (ومعظم العالم الطائفي) أنه يمكن للشخص، وأنه في الواقع، يخلص بالإيمان وحده، أو بالإيمان فقط. شاعت فكرة "بالإيمان فقط" هذه بسبب مارتن لوتر في القرن السادس عشر. كانت الكنيسة الكاثوليكية في أيام لوتر قد فسدت على نحو متزايد، واستحدثت مجموعة من الطرق التي لا تتفق مع الكتاب المقدس للحصول على الغفران. مثل الحصول على المغفرة عن طريق شراء "صكوك الغفران"، وإمكانية "شراء" الأرواح من المطهر مقابل تدفق الكمية المناسبة من المال إلى خزائن الكنيسة. في رد فعل على خطة الغفران هذه "التي تقوم على أساس العمل"، طور مارتن لوتر فكرته حول خطة الخلاص "بالإيمان فقط". في الواقع، تمادى لوتر بهذه الفكرة إلى حد أنه، عندما ترجم رومية ٢:٨، أضاف كلمة وحده إلى النص بحيث أصبح، "ونحن نرى أن الإنسان يبرر بالإيمان وحده بمعزل عن أعمال الشريعة"، بالرغم من عدم وجود كلمة وحده في النص الأصلي (انظر لويس، ١٩٩١، ص ٣٥٣). وهكذا أصبحت عقيدة لوتر "بالإيمان فقط" إحدى الركائز الأساسية في أفكار وتعاليم معظم الطوائف.

من المثير للاهتمام، أنه على الرغم من أن مارتن لوتر كثيرا ما علم أن الخلاص يتم على أساس الإيمان وحده، وأنه لا يتم الحصول عليه على أساس أعمال الفضيلة التي يقوم بها الإنسان، فإنه لم يعتبر أن "الإيمان وحده" يعني أن مجرد الموافقة العقلية على إلهية المسيح كان كافيا للحصول على الخلاص. لا تتفق فكرة لوتر عن الإيمان وحده مع فكرة العصر الحديث من أن المعمودية هي عمل، ولا يمكن أن تكون شرطا للخلاص. بحسب لوتر:

[أنا] أؤكد على أن المعمودية ليست فلسفة بشرية، بل تم تشريعها من قبل الله نفسه. علاوة على ذلك، فقد أوصى بجد وأندر أنه يجب علينا أن نعتمد وإلا فلن نحصل على الخلاص السبب الذي يجعلنا نجاهد ونكافح بشدة في سبيل فكرة ضرورة المعمودية هو أن العالم في الوقت الحاضر يحفل بالطوائف التي تعلن على نحو صارخ أن المعمودية هي مجرد عرف خارجي وأن الأعراف الخارجية هي عديمة الجدوى على الرغم من أن المعمودية تؤدي في الواقع على يد الإنسان، مع ذلك فإنها بحق عمل الله نفسه (١٥٣٠، ص ٩٨-٩٩). تبين أربعة خطوط رئيسية من التفكير أن الكتاب المقدس لا يعلم عقيدة "الإيمان فقط" أو "الاعتقاد الراسخ فقط" كخطة للخلاص. أولا، تصر العديد من المقاطع على وجود متطلبات ضرورية أخرى بالإضافة إلى الإيمان بالمسيح للحصول على الخلاص. ثانيا، لا يقتصر الإيمان الكتابي على الموافقة العقلية فقط، ولكن أيضا على السلوك بطاعة لوصايا الله. ثالثا، تقول رسالة يعقوب على نحو بين أن الإنسان لا يبرر "بالإيمان وحده". ورابعا، يضم الكتاب المقدس أمثلة حول أناس آمنوا (pisteuo) بيسوع، لكنهم مع ذلك هلكوا.

أولا، تصر العديد من مقاطع الكتاب المقدس على وجود شيء آخر ضروري للحصول على الخلاص غير مجرد الإيمان بالمسيح. فيما يتعلق بالاعتراف، كتب بولس: "فالإيمان بالقلب يؤدي إلى البر، والشهادة بالفم تؤدي إلى الخلاص" (رومية ١٠:١٠). في لوقا ٣:١٣، أعلن يسوع

لجمهوره: "إن لم تتوبوا، تهلكوا بأجمعكم مثلهم". في كتاب أعمال الرسل، سجل المؤرخ الملهم لوقا أن الله قد "وهب إذا للوثنيين أيضا التوبة التي تؤدي إلى الحياة" (أعمال ١١: ١٨). بعد شفاء الرجل الأعرج، وعظ بطرس الشعب قائلا "توبوا وارجعوا لكي تمحي خطاياكم" (أعمال ٣: ١٩). نحن نرى في هذه الآيات أن الإيمان، الاعتراف، والتوبة هي شروط مطلوبة من جميع الذين يرغبون في الحصول على الخلاص بواسطة المسيح.

البند الآخر الذي ضمنه كتيبة العهد الجديد كضرورة للخلاص هو الطاعة. تنص الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٥ على ما يلي: "ولما بلغ به إلى الكمال، صار سبب خلاص أبدي لجميع الذين يطيعونه". وقال بطرس، "قد حان الوقت الذي فيه تبتدئ الديونة ببيت الله. فإذا بدأت بنا، فما تكون عاقبة الذين أعرضوا عن بشارة الله؟" (بطرس الأولى ٤: ١٧). في رسالته الثانية إلى أهالي تسالونيكي، حذر بولس من أن الرب يسوع سوف يأتي في يوم ما وينتقم من أولئك الذين "لا يعرفون الله، ولا يطيعون بشارة ربنا يسوع المسيح" (١: ٨). يمكن لقائمة الأشياء المطلوبة من الشخص من أجل الحصول على الخلاص أن تشمل عددا آخر من الأمور. ليس الرجاء (رومية ٨: ٢٤)، المعمودية (أعمال ٢: ٣٨؛ بطرس الأولى ٣: ٢١)، والمحبة (يوحنا الأولى ٤: ٧-٨) سوى عينة صغيرة. النقطة هي أن أيا من هذه الأمور، لا تخلص أحدا في حد ذاتها. الإيمان بدون اعتراف لا يخلص. الاعتراف بلا رجاء لا يخلص. والطاعة دون محبة تعجز عن الحصول على الخلاص. عقيدة "الإيمان فقط" هي على خطأ لأنها تسند قضية الخلاص برمتها على جانب واحد مذكور في العهد الجديد. باستخدام هذا النوع من المنطق، يمكننا أن نلجأ إلى يوحنا الأولى ٤: ٧-٨ — "أيها الأحياء، فليحب بعضنا بعضا لان المحبة هي من الله وكل محب مولود من الله وعارف بالله" — ونقول إن المحبة هي الشيء الوحيد الضروري للخلاص — بصرف النظر عن الإيمان أو التوبة. نستطيع أن نرى في العديد من هذه الآيات، أن كتيبة العهد الجديد قد استخدموا واحدا أو أكثر من أساليب الاستعارة. على سبيل المثال، في الأسلوب المعروف بالمجاز المرسل، وهو صورة بلاغية قوامها ذكر الجزء وإرادة الكل، أو ذكر الكل وإرادة الجزء، ويستخدم غالبا في الآيات التي تناقش الخلاص. كتب دنغان:

هذا هو في كثير من الأحيان الحال في مسألة خلاص الخاطئة. تجري الإشارة إلى العدد الكامل من الشروط عن طريق استخدام شرط واحد. عموما يذكر الشرط الأول — وهو الإيمان — لأنه بدونها لا يمكن لشيء آخر أن يعقب. يجب على الإنسان أن يدعو باسم الرب، لكي ينال الخلاص (رومية ١٠: ١٧)؛ يجب عليه أن يؤمن بالرب يسوع المسيح (أعمال ١٦: ٣١)؛ يجب عليه أن يتوب عن خطايه (أعمال ١٧: ٣٠)؛ ويجب أن يعتمد باسم الرب (أعمال ٢٢: ١٦). لكن من الشائع أن يذكر واحد من هذه، دون أي بيان حول وجود أي شيء آخر (١٨٨٨، ص ٣٠٥).

يذكر أي. دبليو. بولينجر، العالم الأكثر احتراما في أساليب التعبير في الكتاب المقدس دون نقاش، يوحنا الأولى ٤: ١٥ على وجه الخصوص كمثال على طبيعة لغة الكتاب المقدس. ويعلق قائلا أن عبارة "الاعتراف" في هذه الآية تعني أكثر من مجرد بيان لفظي بسيط. تستخدم العبارة للإشارة إلى "الثبات في الإيمان، وسلوك سبيل الحق" (١٨٩٨، ص ٨٢٨).

في الحقيقة، بإمكاننا أن نذهب إلى أي عدد من الآيات وأن نختر منها شيئا واحدا تقول الآية أنه يخلص الشخص. وفقا للكتاب المقدس، ليست المحبة، التوبة، الإيمان، المعمودية، الاعتراف، والطاعة سوى أمثلة قليلة عن الأشياء التي تخلص. ومع ذلك، فإن من غير الأمانة، وقلة البراعة في ثقافة الكتاب المقدس، أن نطالب بأن التوبة "فقط" تخلص، أو أن "الاعتراف وحده" يخلص، أو أن "المعمودية في حد ذاتها" لديها القدرة على تحقيق الخلاص. بنفس المنطق، لا يمكن للمرء (على نحو مبرر) أن يختار الآيات التي تذكر الإيمان والعقيدة فقط، ثم يطالب بأن المرء ينال الخلاص عن طريق "الإيمان فقط" أو "الاعتقاد الراسخ وحده".

ثانيا، يشمل استخدام الكتاب المقدس لكلمة إيمان، أكثر بكثير من مجرد الموافقة العقلية على حقيقة معينة. إنه يشمل أيضا طاعة أوامر الله. بتذكر تعريف ثاير للكلمة، الإيمان هو "قناعة، حافلة بثقة بهيجة، بأن يسوع هو المسيح — الذي عين إلهيا ليكون سبب خلاص أبدي في ملكوت الله، متحدا مع طاعة المسيح" (١٩٧٧، ص ٥١١). في جميع أنحاء العهد الجديد، نرى تعريف "إيمان الطاعة" هذا مستخدما من قبل الكتيبة الملهمون. في بطرس الأولى ٢: ٧، كتب الرسول: "لذلك، فهو كرامة لكم أيها المؤمنون، وأما للكفرة، فإن الحجر الذي رذله البنائون هو صار رأسا للزاوية". في هذه الآية، استخدم بطرس العصبان كتنقيح للإيمان. وسأوى كاتب الرسالة إلى العبرانيين أيضا بين عدم الإيمان والعصبان. في عبرانيين ٣: ١٨-١٩، لم يسمح لبني إسرائيل بدخول أرض الميعاد لأنهم "عصوا" (١٨: ٣). لكن الآية التالية تقول: "ونرى أنهم لم يستطيعوا الدخول لقلعة إيمانهم" (١٩: ٣). وتعلن عبرانيين ٤: ٦ أيضا أنهم "لم يدخلوا بسبب عصيانهم".

مرة تلو الأخرى، يقترن الإيمان في العهد الجديد بالعمل. في غلاطية ٦: ٥، نقرأ أن "الإيمان العامل بالمحبة" هو النهج الذي ينفع للخلاص. يوضح عبرانيين ١١، وهو الفصل المعترف به من قبل دارسي الكتاب المقدس بأنه "فصل الإيمان"، هذا النهج باستخدام أمثلة من العهد القديم حول بعض الأشخاص الذين أرضوا الله. بالإيمان، "قرب" هابيل (آية ٤)؛ بالإيمان "أعد" نوح (آية ٧)؛ وبالإيمان، "أطاع" إبراهيم (آية ٨). آية ٣٠ من هذا الفصل توضح تماما العلاقة بين الإيمان والعمل. يقول النص: "بالإيمان سقط سور أريحا بعد الطواف به سبعة أيام". آمن يسوع وبنو إسرائيل بأن الله قد أسلم إليهم مدينة أريحا، لكن هذا الإيمان لم يصبح فعالا إلا بعد أن "طافوا" حول المدينة مدة سبعة أيام. يوجد مثال آخر جيد على استخدام الكتاب المقدس "للإيمان المقرون بالعمل" في أعمال ١٦. كان بولس وسيلا في السجن، وكانا يسبحان عندما حدث زلازل وفك قيودهما. اعتقد السجناء الفيلبي المسؤول عن السجن أن السجناء قد هربوا، وكان على وشك أن يقتل نفسه، عندما منعه بولس وسيلا عن ذلك. على الفور، تساءل السجناء: "يا سيدي ماذا يجب علي أن أعمل لأنال الخلاص؟" (آية ٣٠). فقالا: "آمن بالرب يسوع المسيح، فتخلص أنت وأهل بيتك" (آية ٣١).

ثم كلماه وجميع أهل بيته بكلمة الرب. فسار بهما في تلك الساعة من الليل فغسل جراحهما واعتمد من وقته واعتمد ذووه جميعا. ثم صعد بهما إلى بيته، فوضع لهما المائدة وابتهج هو وأهل بيته لأنه آمن بالله (آية ٣٢-٣٤).

عندما سأل السجناء ما الذي يجب عليه القيام به لينال الخلاص، قال له بولس وسيلا "آمن (pisteuo) بالرب يسوع المسيح". ومع ذلك، لا يقول المقطع أنه "آمن" إلا بعد أن اعتمد. كان إيمانه مقترنا بالطاعة. توجد حالة مماثلة في أعمال ٢. في هذا الفصل، سأل المستمعون بطرس وسائر الرسل، "أيها الإخوة، ماذا نعمل؟" (آية ٣٧). فقال لهم بطرس: "توبوا، وليعتمد كل منكم باسم يسوع المسيح لغفران خطاياكم" (آية ٣٨). بعد بضعة آيات نقرأ، أن نحو ثلاثة آلاف نفس أطاعوا نداء بطرس واعتمدوا. ثم، في آية ٤٤، يصف الكتاب المقدس جماعة الأتباع المطيعة قائلا: "وكان جميع الذين آمنوا جماعة واحدة".

لكن البعض يعترضون على استخدام هذه الأمثلة من الكتاب المقدس، ويؤكدون بإيراد الدليل على أن مثل هذا الاستخدام يتناقض مع آيات مثل رومية ٣: ٢٨ وأفسس ٢: ٨-٩، التي تعلم أن الشخص لا ينال الخلاص بالأعمال. أولا، لا تعزل رومية ٣: ٢٨ الإيمان عن جميع الأعمال.

على الأصح، تنص الآية على: "ذلك نرى أن الإنسان يبرر بالإيمان بمعزل عن أعمال الشريعة". "الشريعة" التي يجري مناقشتها هنا هي شريعة موسى، كما يتبين من إشارة بولس إلى الختان في آية ٣٠. لا يقول هذا المقطع أن الإيمان يخلص بمعزل عن جميع الأعمال، ولكن بمعزل عن أعمال شريعة موسى. تنص أفسس ٢: ٨ - ٩ على أن الشخص ينال الخلاص "بالنعمة بفضل الإيمان ... وليس من الأعمال"، ومع ذلك تقول آية ١٠ أن المسيحيين خلقوا في المسيح يسوع "للأعمال الصالحة"، ويناقش بقية الفصل كيف تبرر اليهود والوثنيين على السواء لأن "شريعة الوصايا" (شريعة موسى) قد ألغيت (١٥: ٢). لم يكن هناك أي شخص في أي وقت بارا بما فيه الكفاية ليكسب خلاصه. ولم يكن بوسع أي شخص أن يطيع شريعة موسى بالكامل لكي يكسب الخلاص. لكن هذا لا يعني أن الإيمان "بمعزل عن كل عمل" يخلص الشخص. في الواقع، فإن العكس تماما هو الصحيح.

يوجه الفصل الثاني من رسالة يعقوب ضربة ساحقة إلى عقيدة "الإيمان فقط". تقضي الآيات ١٤ - ٢٦ بشكل منهجي على إمكانية خلاص المرء عن طريق "الإيمان فقط". كتب يعقوب للمسيحيين متسائلا، "ماذا ينفع يا إخوتي، أن يقول أحد أنه يؤمن إن لم يعمل؟ أبوسع الإيمان أن يخلصه؟" تتطلب هذه الأسئلة البلاغية الإجابة "بالنفي". ثم يعلن في آية ١٧: "وكذلك الإيمان، فإن لم يقترن بالأعمال كان ميتا في حد ذاته". ومضى يقول أن إبراهيم "برر بالأعمال، إذ قرب ابنه إسحاق على المذبح. هل ترى أن الإيمان ساهم في أعماله، وأنه بالأعمال اكتمل الإيمان؟" (آية ٢١-٢٢). بالطبع، لم يكسب إبراهيم خلاصه، ولم ينال الخلاص بسبب تقديده بالشريعة وعدم ارتكاب أية خطيئة. على العكس، فقد خلص "بتقريب" و"عمل" ما أمره به الله بالضبط. أظهر إبراهيم إيمانه العامل أولا عندما أطاع دعوة الله إلى ترك وطنه (عبرانيين ١١: ٨)، وواصل إظهار إيمانه العامل الحي عندما قرب إسحاق. طوال حياته، خلص إبراهيم لأنه أطاع "أعمال الله" - أعمال صادق عليها الله من أجل الحصول على الخلاص.

علق يعقوب متابعا: "ترون أن الإنسان يبرر بالأعمال لا بالإيمان وحده" (آية ٢٤). من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن هذا هو المكان الوحيد في العهد الجديد برمته الذي وردت فيه كلمتي "الإيمان وحده" جنبا إلى جنب، وتنص الآية صراحة على أن الشخص لا يخلص بالإيمان فقط. اختتم يعقوب الفصل الذي يتحدث عن الإيمان بهذه العبارة: "فكما أن الجسد بلا روح ميت، فكذلك الإيمان بلا أعمال ميت". الإيمان بدون "أعمال الله" هو إيمان ميت لا يستطيع أن يخلص. برر إبراهيم بعد أن "قرب"، سقط سور أريحا بالإيمان بعد "الطواف"، لم يكتمل إيمان السجان الفيلبي حتى "اعتمد"، وتسبب إيمان نوح في "إعداد". الحال هو أنه ما لم يطوف الإسرائيليون حول أريحا، لما سقط السور بغض النظر عن إيمانهم. الحال هو أنه ما لم "يعد" نوح السفينة، لما خلص من الطوفان بغض النظر عما آمن به حول تحذير الله. والحال هو أنه ما لم يعترف الشخص بالمسيح، ويتوب عن ذنوبه، ويعتمد لمغفرة تلك الخطايا، فلن يتم الخلاص لذلك الشخص، بغض النظر عما يؤمن به حول المسيح. من أجل إثبات هذه العبارة الأخيرة، ننقل إلى الاعتراض الرابع حول "الإيمان فقط": يشير الكتاب المقدس إلى أفراد آمنوا (pisteuo) بأن يسوع هو ابن الله، لكنهم مع ذلك هلكوا. في مرقس ١: ٢١-٢٨ يسجل الكتاب المقدس حادثة واجه فيها يسوع رجلا به روح نجس. عند رؤية يسوع، "صرخ" الروح قائلا: "ما لنا ولك يا يسوع الناصري؟ أجنبت لتهلكنا؟ أنا أعرف من أنت: أنت قدوس الله" (آية ٢٣-٢٤). لا يستطيع أحد أن يبرهن أن الروح النجس خلص لمجرد أنه آمن بأن يسوع هو "قدوس الله". لما لا؟ لسبب بسيط هو أنه على الرغم من أن الروح النجس اعترف بالهوية يسوع، فإنه لم يكن على استعداد للتوبة وإطاعة المسيح. ذكر يعقوب ذلك في الفصل المؤثر حول الإيمان عندما كتب: "أنت تؤمن بأن الله أحد. فقد أحسنت. والشياطين هي أيضا تؤمن وترتعد! أتريد أن تعلم أيها الأبله، أن الإيمان من غير أعمال شيء عقيم؟" (١٩: ٢-٢٠).

دون يوحنا الرسول الملهم مثلا واقعيا آخر حول مجموعة من الأشخاص الذين "آمنوا" بالمسيح، لكنهم هلكوا على الرغم من إيمانهم. في يوحنا ١٢: ٤٢-٤٣ يقرأ النص: "غير أن عددا كثيرا من الرؤساء أنفسهم آمنوا به (pisteuo)، ولكنهم لم يجاهروا بإيمانهم بسبب الفريسيين لئلا يفصلوا من المجمع. فضّلوا المجد الآتي من الناس على المجد الآتي من الله". هل الحال هو أن هؤلاء الحكام اليهود خلصوا لأنهم آمنوا بيسوع، على الرغم من أنهم خافوا من أن يعترفوا به؟ الإجابة هي أنهم هلكوا على الرغم من "إيمانهم" (pisteuo) به.

خلاصة

لا يعلم الكتاب المقدس في أي مكان منه أن بإمكان المرء أن يحصل على الخلاص "بالإيمان فقط". ليس بوسع مجرد القبول العقلي بالهوية المسيح أن يخلص (متى ٧: ٢١). الإيمان التوراتي الحقيقي بالمسيح هو الإيمان بالهوية، متحدا مع طاعة وصاياه. لا يكتمل الإيمان الذي يخلص أو يصبح فعالا إلا من خلال إطاعة وصايا الله. الإيمان الحي هو الإيمان "العامل بالمحبة" لإنجاز "الأعمال التي صادق عليها الله". الإيمان الحي هو الذي يؤدي إلى التوبة، الاعتراف، والاستسلام لمعمودية الماء لغفران الخطايا، ومحبة الله والقريب. على غرار الطريقة التي حصل بها إسرائيل على أرض الميعاد من الله بعد إتباع تعليماته، اليوم، يمكن لأي آثم غريب أن "يحوز" على هبة الخلاص المجانية في أي وقت بإتباع هذه الخطوات.

المراجع

بدي براينت (بدون تاريخ)، "ما الذي يخلص؟ المعمودية أم يسوع المسيح؟" كنيسة الخيمة المعمدانية، [على الأنترنت]، URL:

<http://www.llano.net/baptist/whatsaves.htm>

أي. دبليو. بولينجر (١٨٩٨)، أساليب التعبير في الكتاب المقدس (غراند رابيدز، ميشيغان: بيكر، ١٩٦٨ طبعة معادة).

"هل معمودية الماء تخلص؟ تفنيد كتابي للولادة الجديدة بالعماد" (بدون تاريخ)، [على الأنترنت]، URL:

<http://www.middletonbiblechurch.org/salvatio/baptsave.htm>

دي. ر. دنكان (١٨٨٨)، تأويلات (ديلايت، أركنساس: نور الإنجيل، طبعة معادة).

"الإلهية"، (بدون تاريخ)، [على الأنترنت]، URL: http://www.geocities.com/Athens/Atlantis/3074/GE13_trinity.htm

هيرشيل هوبز (١٩٦٤)، بماذا يؤمن المعمدانون (ناشفييل، تنسي: برودمان).

"كيف تصبح مسيحيا" (بدون تاريخ)، رابطة بلي گراهام للتبشير، [على الأنترنت]، URL:

<http://www.billygraham.org/believe/howtobecomeachristian.asp>

وين جاكسون (١٩٩٧)، "دور الأعمال، في خطة الخلاص"، الساعي المسيحي، ٤٧:٣٢، أبريل.

جاك بي. لويس (١٩٩١)، اسئلة كنت قد سألتها عن ترجمات الإنجيل (سيرسي، أركنساس: مطبوعات المورد).

مارتن لوثر (١٥٣٠)، كتاب لوثر الكبير للتعليم المسيحي (سينت لويس، ميزوري: كونكورديا، ١٩٧٨ طبعة معادة).

براين ماكفيل (بدون تاريخ)، "هل يتناقض يعقوب مع بولس فيما يتعلق بالتبرير؟" مصدر اللاهوت المصلح، [على الأنترنت]، URL:

<http://www.reformedtheology.ca/faithworks.html>

جوش مكداول (١٩٩٩)، الدليل الجديد الذي يقتضي قرارا (ناشفييل، تنسي: نيلسون).

ديف ميلر (٢٠٠٣)، "الصلب على الصليب"، [على الأنترنت]، URL: <http://www.apologeticspress.org/articles/2321>

ألبرت ر. مولر الابن (٢٠٠١)، "أن تكون معمدانيا يعني الإيمان الراسخ"، لماذا أنا معمداني، المؤلفان توم ننتيلز ورسل مور (ناشفييل، تنسي:

برودمان وهولمان).

"صلاة الخلاص" (بدون تاريخ)، [على الأنترنت]، URL: http://www.jesussaves.cc/prayer_of_salvation.html

ا. تي. روبرتسون (١٩٣١)، وصف دقيق لكلمات العهد الجديد (ناشفييل، تنسي: برودمان).

ديفيد شليمپر (١٩٩٨)، بدعتان — فيما يتعلق بالعقوبة الأبدية والخلاص"، [على الأنترنت]، URL:

<http://www.patriotist.com.miscarch/ds20030317.htm>

ستيفن ف. ستانت (٢٠٠١)، "صلاة الخاطيء"، [على الأنترنت]، URL:

<http://www.chicagochurch.org/spirituallibrary/thesinnersprayer.htm>

جي. أ.ج. تاير (١٩٧٧ طبعة معادة)، موسوعة العهد الجديد باللغة اليونانية-الإنجليزية (كراند رابيدز، ميشيگان: بيكر).

توماس بي. وارن ول. س. بالارد (١٩٥٣)، مناظرة وارن/بالارد حول خطة الخلاص (جونز بورو، أركنساس: المطبعة الوطنية المسيحية،

١٩٦٥ طبعة معادة).

"معمودية الماء ليست للخلاص"، (بدون تاريخ)، كنيسة الجنوب الغربي المعمدانية، شلالات وچينا، نكساس، [عل الأنترنت]، URL:

<http://www.southwest-baptist.org/baptism.htm>

دارين بيكر (٢٠٠٣)، "المعمودية: الجزء الثالث في سلسلة FUD"، [على الأنترنت]، UR:

<http://www.dyeager.org/articles/baptism.php>

يسعدنا منح الأذن لاستنساخ المواد الموجودة في قسم "التناقضات المزعومة" في مجملها، شريطة مراعاة البنود التالية: (١) يجب أن تسمى أبولوجيتكس برس بوصفها الناشر الأصلي؛ (٢) يجب نشر عنوان الموقع الإلكتروني المحدد للمادة الأصلية؛ (٣) يجب أن يبقى اسم المؤلف مصاحبا للمادة؛ (٤) يجب تضمين أية مراجع، حواشي، أو تعليقات ختامية مصاحبة للمقال مع أي استنساخ خطي للمقال؛ (٥) يمنع إجراء أي نوع من التعديلات منعا باتا (على سبيل المثال، الصور، الرسوم البيانية، الرسومات، الاقتباسات، وما إلى ذلك يجب أن تستنسخ بالضبط كما تظهر في النص الأصلي)؛ (٦) يسمح باستنساخ المواد المكتوبة بشكل متسلسل (على سبيل المثال، نشر المقال في عدة أجزاء) طالما أن إنتاج المادة بشكل كلي يصبح متاحا، دون تحرير، في غضون مدة معقولة من الزمن؛ (٧) لا يجوز عرض المواد للبيع، كليا كان أم جزئيا، ولا يجوز أن تدرج ضمن مواد أخرى معروضة للبيع؛ و (٨) يجوز استنساخ المقالات بشكل الكتروني لنشرها على مواقع الأنترنت طالما أنه لم يتم تحرير أو تغيير مضمونها الأصلي، وبشرط أن تنسب المقالات إلى أبولوجيتكس برس، بما في ذلك عنوان الموقع الإلكتروني على شبكة الأنترنت الذي أخذت منه المقالات.